3 مدام دي ستايل

كاتبة فرنسا الموهوبة، والتى حددت المذهب الرومانتيكى بأفكارها ونظرياتها.

ابنة «لروسو» من ناحية العاطفة، وابنة «لفولتير» من جهة العقل.

حُبها للحرية ومقاومتها للطغيان جعلت «نابليون بونابرت» يضطهدها أينما ولت.

صاحبة أشهر الصالونات الأدبية فى باريس وفى مدينة «كوبيه» السويسرية.

كانت قصتها «كورين» أول قصة تُنادى بحقوق المرأة، وهى أيضاً أول قصة عالمية ظهرت فى فرنسا، وقد نجحت نجاحاً كبيراً.

«لا يسعنى إلاَّ أن أُفكر دائماً فى أن نابليون لو كان لقى بين خصومه رجلاً مستقيماً على خُلق، لأوقفه ذلك عند حَده، وسر براعته قدرته على إرهاب الضعفاء، والاستفادة ممَّن لا أخلاق لهم».

الميلاد وذكريات الطفولة :

تنحدر «جرمين نيكر» Germaine Necker، المشهورة أدبياً باسم «مدام دى ستايل» من أصل سويسرى، ولكنها ولدت فى العاصمة الفرنسية باريس فى عام 1766م.

ظهرت عليها ملامح الذكاء، وامتازت بدقة الملاحظة، وحُسن التعبير عمَّا يجول فى نفسها من آراء وأحلام وهى لا تزال طفلة صغيرة تلهو وتمرح مع أقرانها . ولقد

ساعد نضوجها الفكرى المبكر، وهى لا تكاد تناهز الحادية عشرة من عُمْرها، على حضور الندوات التى كانت تقيمها والدتها وهى تستقبل الصفوة من العلماء والأدباء والفنانين.

و «مدام دى ستايل» هى ابنة الوزير الاقتصادى المعروف «جاك نيكر» صاحب مصرف شهير فى جنيف، والذى أصبح رئيساً للوزراء فى أواخر عهد الملك «لويس السادس عشر» . وكان هذا الرجل نصير آمال الطبقة المتوسطة فى فرنسا، وقد حاول إصلاح أحوال فرنسا المالية آنذاك، ولكن بعد فوات الأوان .

الزواج من سفير السويد :

تزوجت «مدام دى ستايل» ابنة العشرين ربيعاً، التى كانت تحلم بالحب والزواج، من زوج أكبر منها سناً بكثير هو البارون «دى ستايل هولستين» Destael Holstein السويدى الجنسية وذلك فى عام 1786م.

لقد اختارها زوجة له وذلك لما تتمتع به من قوة عقلية بارزة، وما كان ينتظر أن ترثه من أبيها الثرى، فإنَّها لم تكن موفورة الحظ من الجمال .

وقد رُقى زوجها إلى منصب سفير السويد المفوض، وقد أرضى ذلك فيها حب الظهور، ونالت المكانة التى كانت تطمح فيها .

قصة حبّ فاشلة تعصف بقلب «مدام دى ستايل» :

كانت «مدام دى ستايل» ذات عاطفة متأججة، لا ينضب معينها من الحبِّ، أرادت أن تنعم بمباهج الحياة، دون أن تقهر على أمرها : لقد أرادت أن تكون موضع الحب، كانت هناك حالة من الحبِّ تعصف بقلبها، فإنَّها كانت تحاول - عبثاً - الاحتفاظ بحب السياسى «بنجامين كونستان» B. Constant الذى كان يتردد على صالونها الأدبى - والتى كانت متيمة بحبه، لكنه فارقها غير مبالٍ، فلمَّا ذاقت مرارة الهجر والصد أقلعت عن البحث عن السعادة فى هذه الحياة، وعادت إلى الإيمان بالدين، وألقت بنفسها فى حومة المجد، لكنَّها كانت تقول فى نفسها : «ليس المجد بالنسبة للمرأة إلاَّ حداداً صارخاً عن السعادة».

الزواج سرًا:

بعدما عاشت «مدام دى ستايل» مكسورة القلب والفؤاد، وافتقدت لكل مقومات السعادة العاطفية، انتعشت آمالها فى الحبِّ والحياة، فقد أحبها حبًّا جمًّا، ضابط فى الثالثة والعشرين من عُمْره، ومع أنَّها كانت فى السادسة والأربعين من عُمْرها، وكانت أرملة، رضيت أن تتزوجه سرّاً.

كانت ترتجف من أن يأتى أمر باستدعائه إلى الجيش، فتفتقده، وبالتالى يضيع ما تبقى لها من حب وعاطفة، عندئذ هربا سوياً من مدينة «كوبيه» السويسرية إلى روسيا ثم إنجلترا مروراً بالسويد، ثم استطاعت فى نهاية الأمر أن تنشر كتابها عن ألمانيا.

الصالون الأدبى والسياسى «لمدام دى ستايل».. والنفى ثلاث مرَّات:

كانت تحلم «مدام دى ستايل» بإنشاء ندوة أو صالون أدبى وسياسى فى باريس، وهذا كان مطمحها فى الحياة. وقد استطاعت هذا فأصبح صالونها بعد قليل هو المكان المُختار الذى يجتمع فيه الأدباء والمعجبون بالنظام الدستورى الإنجليزى.

وقد بلغت «مدام دى ستايل» حد الروعة فى توجيه هذا الصالون؛ فقد كانت أحاديثها نبعاً يتدفق على الدوام بالأفكار القوية شديدة الوقع فى النفوس.

ولَّما أصبحت موضع شك بسبب صلتها بهؤلاء الساسة، مع اضطراب الأحوال السياسية فى داخل فرنسا، اجتازت الحدود هرباً فى آخر لحظة فى شهر ديسمبر من عام 1792 م، ولجأت إلى شواطئ بحيرة جنيف فى مدينة «كوبيه» حيث يُقيم والدها هناك، وكان هذا هو منفاها الأول.

وبعد سقوط «روبسبيير» عادت إلى باريس، وكانت من أوائل السيدات اللاتى فتحن صالوناتهن، وحاولت أن تتخذها سبيلاً للتوفيق بين رجال الأرستقراطية واليعاقبة، فاتُّهمت «مدام دى ستايل» بأنَّها تخدع الفريقين، ولَّما أحست أن الميدان ما يزال مُلغماً بالأخطار عادت من جديد إلى «كوبيه» فى عام 1795م.

فى شهر يناير عام 1800 م كتب السياسى «بنجامين كونستان» فى صالونها تلك الخطبة الشهيرة التى ألقاها فى الجمعية التشريعية، والتى تفيض بالمعانى النبيلة دفاعاً عن الشعب، وينذرهم بفجر عهد الإرهاب، ويهتك فيها أيضاً ستر «فجر الاستبداد»، ومنذ

ذلك الحين تأكدت القطيعة بين «مدام دى ستايل» وبين «نابليون بونابرت»، على الرغم ممَّا يبدو فى كتابها عن ألمانيا عام 1800 م، من أنَّها ما زالت تجمع بين التقرُّب إليه وبين التلميحات الماكرة !!

غير أن الحرب الهوجاء التى أُعلنت على «نابليون» وأتباعه، كان من نتيجتها أنَّها تلقت فى عام 1803م الأمر بمغادرة باريس على مسافة 160 كيلو متراً بعيداً عن العاصمة، وكان هذا هو منفاها الثالث .

«مدام دى ستايل» .. هى ابنة «لروسو» من ناحية العاطفة، وابنة «لفولتير» من جهة العقل والتفكير :

«مدام دى ستايل» هى ابنة «للجان جاك روسو»[1] من ناحية العاطفة ؛ ذلك لأنَّها ذات عاطفة متوقدة، كما كان «روسو» ذا حياة عاطفية قوية، بالغة الحدة والجامحة أكبر جموح .

فولتيس

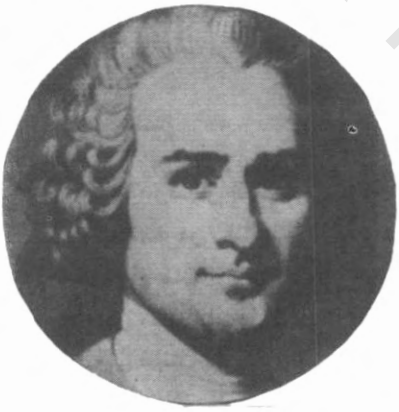

جان جاك روسو

(1) ولد جان جاك روسو عام 1712م من أهم مؤلفاته "هلويز الجديدة" (1761) و "إميل" (1762) وفيهما درس طريقة إصلاح الفرد. وكتابه "العقد الاجتماعى" (1762) وفيه درس إصلاح المجتمع، أما كتابه "الاعترافات" (1765 - 1770) وكتابه "أحلام متربص وحيد" (1776 - 1778) فظهرا بعد وفاته، حيث توفى فى عام 1778 م .

وهى كذلك ابنة «للفولتير»[1] من جهة العقل والتفكير ؛ ولأنَّها جمعت بين عبقرية «روسو» و «فولتير» فغدت صورة حيَّة للقرن الثامن عشر الذى ساد فيه التفكير العقلى والميل إلى الحياة الاجتماعية الراقية .

لقد كانت ديانة هذا العصر هى ديانة «مدام دى ستايل»، واعتقاداته هى اعتقادها ؛ ولذلك نراها تؤمن بقابلية التقدُّم وبالكمال الضرورى المُحقق للإنسانية، فهى لم يخامرها الشك أبداً فى الحقائق المطلقة كوالدها الروحى «روسو».

تأثيرها الفكرى :

إن قيمة «مدام دى ستايل» الفكرية أثارت الدهشة البالغة لدى كبارالمفكرين والفلاسفة الألمان أمثال : «جوته» Goethe و «فيشته»، و«شيللر» Schiller . وقد كتب عنها» شيللر» يقول : «إنَّها تُريد تفسير كل شيء والتعمق فيه وتقديره، إنَّها لا تقبل أى شيء غامض، ولا أى شيء لا يمكن إدراكه، وهى لا تؤمن بوجود شيء ما فى تلك المناطق التى لا تستطيع أن تضيئها» .

العلاقة المتوترة بين «مدام دى ستايل» ونابليون بونابرت :

رحبت «مدام دى ستايل» فى أول الأمر بالثورة الفرنسية، واستقبلتها بسرور كبير، وبنفس غنية بالأمل، جيَّاشة بالأمانى الباسمة المشرقة .

وقد عاشت فى سلام مع «نابليون بونابرت»، ولم تقطع صلتها به حتى بعد أن انفرد بالحكم . كما حاولت أن تستميله وتستولى على مشاعره بعد انتصاراته فى إيطاليا، ولكنَّها لم توفق فى ذلك ؛ لأنَّ «نابليون» كان لا يعبأ بالنساء عموماً، وبالنساء المفكرات خصوصًا، وبالرغم من ذلك ظلت معجبة به ؛ ولكنها وجدت أنَّها كانت مخدوعة فيه، ولاحظت أن طبعه الأصيل قد أخذ يتكشف ويظهر، فحالما توطد مركزه، حتى طغى وتجبر وأصبح لا يطيق المناقشة، ولا يحتمل أدنى مخالفة أو معارضة فأثارها ذلك ؛ ولمطامحها السياسية،

---

(1) ولد فرانسوماري أرويه (فولتير) عام 1694، له عدة مؤلفات فى الأشعار مثل : "هنريات" (1728)، والمآسى وبخاصة"ميروب" (1743)، وفى التاريخ له: "تاريخ شارل الثانى عشر" (1731) و "رسالة فى الأخلاق" (1731)، وله فى الفلسفة : "رسائل فلسفية" (1734)، و "القاموس الفلسفى" (1764)، وتوفى فى عام 1778 م .

وصراحتها فى إبداء آرائها بدأت فى مهاجمته، وبدأ هو فى اضطهادها ومقاومتها ومتابعتها أينما ولت .

كانت «مـدام دى ستايل» معروفة المكانة، ذائعة الصيت قبل مخاصمتها «لنابليون»، ولكن المعركة التى نشبت بينهما جعلتها من الشخصيات الأوروبية البارزة .

ولأنَّ «نابليون» شعر نحوها بالكراهية ؛ فقد نفاها وألزمها العزلة فى مدينة «كوبيه» Coppet، ولم ترجع منها إلا فى عام 1797 م .

نابليون بونابرت

وفى عام 1813 م زارت «مدام دى ستايل» الكثير من الوزراء والساسة وحرضتهم على مقاومة «نابليون» وكانت تجتهد فى أن تفرق بين «نابليون» وفرنسا ؛ فمحاولة إسقاط «نابليون» كانت فى نظرها مسألة أُخرى مختلفة كل الاختلاف عن محاربة فرنسا؛ بل ذهبت لأبعد من ذلك حينما أكَّدت أن من مصلحة فرنسا الحقة تقتضى إقصاء «نابليون» عرش فرنسا، ولقد كانت «مدام دى ستايل» أكثر إخلاصاً لمبادىء الثورة الفرنسية من أن تميل ناحية البوربون، كما فعل الكاتب الفرنسى الكبير «شاتوبريان» .

ولعلّ أخطر جريمة اقترفها «نابليون» فى نظر «مدام دى ستايل» هى القضاء على الحرية الجمهورية فى فرنسا .

ومن رأى «مدام دى ستايل» فى «نابليون» أنَّه كان رجلاً تسكته المقاومة الحقة، وأن الذين صبروا عليه ولطغيانه واحتملوه هم شركاء له فى الذنب، وقد كتبت فى مذكراتها تقول : «لا يسعنى إلاَّ أن أفكر دائماً فى أن «نابليون» لو كان لقى بين خصومه رجلاً مستقيماً على خُلق، لأوقفه ذلك عند حده، وسرّ براعته قدرته على إرهاب الضعفاء والاستفادة ممَّن لا أخلاق لهم، وقد كان حينما يلقى الشرف وجهاً لوجه، تبطل حيله كما تُقصى علامة الصليب الأرواح الشريرة».

وفى ضوء هذا كلِّه كتبت كتابها الشهير «ملاحظات عن الثورة الفرنسية» أتمته قبل أن تتوفى بفترةٍ قليلة، هذا الكتاب الذى نشره أولادها، وقد ذكرت فيه فكرتها عن «نابليون» وعهده مفصلة، ومعززة بذكرياتها المُرة، وتجاربها القاسية، وملخص رأيها فيه أنَّه كان جنديًّا قبل كل شىء، فهو لا يحفل بمبادئ الحرب السياسية، وقد بدأ بالقضاء على المثالية الجمهورية فى الجيش، ثم استعان بالجيش للقضاء على هذه المثالية فى الدولة. وهو أنموذج مستوفى الشرائط للأنانى المُجرَّد من العطف الإنسانى والذى يرى الناس آلات محتقرة، وقطعاً من الشطرنج. وهو غريب أجنبى بين الفرنسيين، لا وطن له ولا إيمان، وهو لا يسعى إلاَّ لمجده الشخصى، وعظمته الفردية. وهو المكيافيلى الذى يعد بالسلم ويعمل سرًّا على إثارة الحرب وتهيئة أسبابها.

ويرى المؤرخ البلجيكى المعاصر «بيترجيل» أستاذ التاريخ الحديث فى جامعة «اترخت» فى كتابه عن نابليون ماله وما عليه Napoleon for and Against أن الكثيرين من المؤرخين الذين نقدوا أعمال «نابليون» رددوا ما قالته «مدام دى ستايل» وأعادوه بتفصيلات أو ملاحظات أدق وأشمل.

عالم «مدام دى ستايل» الأدبى والفكرى :

بدأت «مدام دى ستايل» حياتها الأدبية برسالة عن «روسو» تناولت فيها كتاباته وأخلاقه.

قصة : كورين : القصة التى نادت بحقوق المرأة لأول مرّة، وكانت أيضاً أول قصة عالمية ظهرت فى فرنسا.

فى عام 1807م نشرت «مدام دى ستايل» قصة «كورين» وهى قصة تشبه أن تكون تاريخاً كتبته لحياتها. وقد نشرت هذه القصة فى الوقت الذى رجعت فيه نهائياً إلى «كوبيه»، ونجحت القصة نجاحاً هائلاً.

القصة تتلخص فى الآتى : كان اللورد «أسولد نلفيل» Oswald Nelvil شابًا إسكتلنديًّا يقوم برحلةٍ فى إيطاليا، وكان شابًا جامد العاطفة، ساذجًا، معتزًا

بنفسه، لا يكترث بشيء، ويغلب عليه طابع الكآبة . ثم ربطته صلة الصداقة بشاب مهاجر فرنسي هو الكونت «درفى»، الذى صورته «مدام دى ستايل» بأنه شاب مرح، مستهتر، معجب بنفسه، مزهو كل الزهو بجنسيته الفرنسية . وفى غداة اليوم التالى لوصولهما إلى روما أُقيم احتفال كبير، ذلك أن أكاديمية روما (الكابتول Capitole) كانت تمنح فى هذا اليوم جائزة للشاعرة الإيطالية «كورين»، وهى شاعرة غامضة، ذات جمال وعبقرية، فشغف بها اللورد «أسولد» حُبًّا، وأجابته «كورين» على حبه فى صمتٍ . واقترحت عليه أن تريه مظاهر الجمال فى إيطاليا، فأطلعته على مفاتن الريف والآثار والفنون والأدب، فبُهر «أسولد»، لكن تفوقها العقلى وعواطفها المتأججة أثارت فيه الرهبة أمامها .

كذلك كانت النزعة الاستقلالية لدى «كورين» سببًا فى خدش تزمته الغريزى، وكان الغموض الذى يُحيط بماضى هذه الفتاة هو الذى آثار قلقه على وجه الخصوص . وفى آخر الأمر أخبرته «كورين» أنَّها إنجليزية، وأنَّها ابنة اللورد «إدجرموند» من زوجته الأولى التى كانت من أصل رومانى، وفى فترة من الزمن فكر اللورد «إدجرموند» وصديقه القديم اللورد «نلفيل» أن يعقد رابطة الزواج بين ابنة أحدهما وابن الآخر . لكن «كورين» أفزعت اللورد «نلفيل» لشدة حيويتها، فمات وهو يتمنى أن يتزوج ابنه «أسولد» من «لوسيل إدجرموند» وهى ابنة صديقه من زوجته الثانية . وتذكَّر «أسولد» حقيقة هذه الرَّغبة المزعجة، وعقد عزمه على العودة إلى إنجلترا ليضع حدًّا لهذا الموقف الغامض، وليمهد الرأى أمام زواجه بـ «كورين» . بيد أنَّه لما رجع إلى إنجلترا خضع مرَّة أخرى لتأثير المجتمع الإنجليزى، وتزوج «لوسيل» التى وعدته أن تكون ربة بيت كاملة كما تقضى بذلك التقاليد، وامتنعت «كورين» عن أن تنغص سعادة أختها، فقضت نحبها حُزنًا!!

لقد كانت هذه القصة مناداة بحقوق المرأة لأول مرّة، لأن «كورين» غادرت إنجلترا لتفر من المجتمع القاسى، فوجه هذا المجتمع اللَّوم إليها، ولمَّا أقامت فى إيطاليا رفضت أن ترضخ للعرف الاجتماعى ولقواعد العادات والتقاليد، فعاشت حياة حرَّة، ولم تكتم

حبها لـ «أسولد»، ثم استجابت فى آخر الأمر إلى ما كانت تمليه عليها طبيعتها. ولمَّا لم يتزوجها «أسولد»، فقد كانت «كورين» هى ضحية تفوقها وصراحتها ونبلها.

ولقد كانت هذه القصة فى الوقت نفسه أول قصة عالمية ظهرت فى فرنسا، وكانت «مدام دى ستايل» ذات نزعة عالمية عميقة للغاية، ولأنها سويسرية الأصل، ومن ثم كانت تستطيع فهم كل من فرنسا وإيطاليا وألمانيا فى آنٍ واحد، ولأنها ذهبت إلى هذه البلاد وعاشت فيها، فإنَّها عرفت كيف تسلك مسلك الحياد والذكاء فى رسم مختلف النماذج القومية التى لم يكن المؤلِّفون قد رسموا لها حتى ذلك الحين إلاَّ صوراً هزلية.

كتاب : نسبية الجمال فى الأدب :

حدَّدت «مدام دى ستايل» فى هذا الكتاب خصائص الأدب الذى يتفق مع طبيعة المجتمع الخارج من الثورة، فى الجزء الأول قرَّرت أن هناك صلة وثيقة بين النظم الاجتماعية والآداب فى كل عصر وفى كل قطر وفى الجزء الثانى طبقت هذه النظرية على التطور العقلى فى فرنسا المعاصرة. ثم ينتهى الكتاب بتأكيد إيمان «مدام دى ستايل» فى قابلية الجنس البشرى للكمال الذى يجب علينا جميعاً أن نعمل من أجله، وفى ضرورة الحماسة.

وقد أدى هذا الكتاب إلى ثورة فى عالم الجمال شبيهة بالثورة التى قام بها كتاب «روح القوانين» فى عالم التشريع.

كتاب : مبادئ الأدب الرومانتيكى فى ألمانيا :

هذا الكتاب يعتبره النُّقَّاد (مُحكم التفكير وإن كان ينقصه إلى حدٍ ما حرفية التأليف): تلاحظ «مدام دى ستايل» أنَّه إذا أردنا علاج داءالعقم الذى يهدد الأدب الأوروبى: «فمن الضرورى أن نطعمه برحيق أكثر قوة»، ولذا تنصح بدراسة الكُتَّاب الألمان حيث: «هم أكثر الناس ثقافة وأشدهم تأمُّلاً فى أوروبا بأسرها».

وهذا الكتاب يحتوى على أربعة أجزاء : الجزء الأول : يتحدَّث عن ألمانيا وأخلاقها، والجزء الثانى: كتبت فيه عن الأدب والفن، وفى الجزء الثالث: كتبت عن الفلسفة

والأخلاق، حيث نراها تُقابل ما بين الفلسفة والمادية فى القرن الثامن عشر وبين الفلسفة الألمانية، أمَّا الجزء الرابع : فقد خصصته للدين والحماسة، حيث ترى ضرورة وجود نزعة التديُّن والحماسة لكى يتم النفاذ إلى جوهر الأشياء .

وفى هذا الكتاب تُهاجم «مدام دى ستايل» (الأدب الأنيق الأجوف)، ونراها تُمجد الانفعال والنزعة الفردية، وتبيِّن لنا خصوصية ذلك الأدب الذى تُستقى مادته من العاطفة، والذى يعتمد على الحماسة، بل وحددت لنا على وجه الإجمال شروط الدراما الجديدة، التى ينبغى أن تمزج فيها الشاعرية بعنصر المأساة : «إن هدف الفن لا ينحصر فى أن يُبيِّن لنا فحسب أن البطل قد مات أو تزوج» !!

وهكذا نجد أنَّها قد حدَّدت لنا فى هذا الكتاب صيغة النظريات الجوهرية فى الأدب الرومانتيكى .

وفى هذا الكتاب أيضاً فإنَّها تنقل رسالة فرنسا الحرة إلى ألمانيا لتثير عزائم الألمان، وحاولت أن تسترعى نظر هذه الأمة إلى الحياة السياسية، وطلب الحرية الفردية، والوحدة القومية . وحاولت من جانب آخر أن تُعرف الفرنسيين بالأدب الألمانى وفلسفة «كانت» وشعر «شيللر»، وقد قدَّمت للفرنسيين صورة حيَّة مشرقة للأدب الألمانى .

لم تتعرَّض «مدام دى ستايل» فى كتابها لمشكلات ألمانيا السياسية، ولكن غرضها كان واضحاً، فقد كانت ترمى إلى إيقاظ الشعور القومى الألمانى وتُحبذ توحيد الجهود، التى لابد أن تتجه إلى مقاومة فرنسا وتحدى مطامح «نابليون»، ولذا لا نعجب إذا علمنا أن الرقابة التى فرضها «نابليون» على الآثار الأدبية لم تسمح بظهور الكتاب فى فرنسا عام 1810م.

أسلوب «مدام دى ستايل» فى الكتابة :

وصف الكاتب الفرنسى والناقد «جوستاف لانسون» أسلوبها فى الكتابة بالآتى : لا تعرف كيف تصف، وإنتاجها الخيالى يعوزه فقط وضوح المَعالم، وأوصافها قاتمة بعض

الشيء، ينقصها اللون والحرارة، وكثيراً ما يكون الفعل فاتراً في تعبيره، والنعت لا رونق له، وهي تحوّل الإحساسات والعواطف إلى معانٍ عقلية، وبهذا الاعتبار تلتزم التقاليد الخاصة للقرن الثامن عشر . كما أن جملتها تمتاز على وجه الخصوص بالصفات العقلية من وضوح ودقة وصرامة . إن الجملة عند «مدام دى ستايل» فضفاضة وكثيراً ما تكون خطابية : ولمّا كانت هي مُحدثة بارعة، فقد أضفت على أسلوبها خصائص محادثاتها التي كانت عاطفية وحماسية دون تكلُّف ؛ فأسلوبها سلس يفتقر إلى الرونق، وكثيراً ما تؤثّر في النفوس إذا كانت هي متأثرة، وعندئذ نرى أن الحياة تدب في عباراتها فتلتهب وتشع إشعاعاً غريباً، مع أنّها تظل عباراتها يغلب عليها طابع التفكير المُجرَّد .

لمحات من فكر وآراء «مدام دى ستايل» :

كانت «للمدام دى ستايل» نظريتها القومية التي ظلت تُدافع عنها، وذهبت إلى أن إخضاع أمة لأمة أُخرى من الأمم أمر ضد الطبيعة، وظلت وفيّة لفكرة القوميات الحرة، مؤمنة بإمكان تعاون الأمم الحرة في سبيل الحياة النيابية الدستورية ؛ فهي كانت تؤمن بالاستقلال الثقافي والأدبي، وتؤمن في الوقت نفسه بالتعاون الأممي. وكانت لا تستريح لهذه الوحدة المتكلفة المصطنعة التي حاول «نابليون» أن يفرضها فرضاً مع الدول الأوروبية .

و «مدام دى ستايل» تؤكّد أن الأمم الحرة يجب عليها أن تجنح للسلام وإلاّ فقدت حريتها واستقلالها فالحرية تقوى الأمم وتشد بنيانها ،والحرية المنشودة هي الحرية المقترنة بالعدالة والإنصاف . وكانت تقر الحرب الدفاعية .

وكان حلمها هو تحقيق فكرة الأدب الأوروبي، هي تريد حفلة رقص جامعة، تحمل فيها كل أمة (نوتتها) الخاصة، أو تجارة تربح فيها كل أمة من إنتاج غيرها، تقول «مدام دى ستايل»: «يجب على الأمم أن تستخدم المرشدين، فتبعث هذه بمرشدها إلى تلك. وكل الأمم تكون على خطأ عظيم إذا حجبت الأنوار والأضواء التي تستطيع أن تقرضها لغيرها» .

سماتها الشخصية :

كانت على ذكائها المتوقد، وعمق تفكيرها، وغزارة علمها، امرأة مترامية الآمال، حريصة على الشهرة، مُحبة للظهور، تريد أن تسترعى الأنظار، وتخلب العقول، وتشغل الأفكار، وتترك فى الدنيا دويًا.

وهى تتمتع بسمة نادرة هى الأثرة العامة، فهى دائماً فى عطش دائم إلى السعادة لنفسها ولغيرها، فهى تكنّ للناس جميعهم الخير والعطف والعدل، كما أنَّها تبغض من كل قلبها الاستبداد والتعسف . وعندها أن التعبير القوى للشخصية هو الخروج من الأوامر التعسفية بكافة ألوانها وأنواعها .

الرحيل :

رحلت «مدام دى ستايل» فى عام 1817 م عن عمر يُناهز 51 عاماً.

obeikandl.com